القبلة الأخيرة

للأستاذ ابراهيم العريض

وقفنا.. ولما يُشرِقِ البدرُ طالعاً   ولا سبقتْهُ فى السماء نجومُها
على جدوَل قد صقَّلتْه يدُ الصَبا   فمالتْ مع الأغصان فيهِ رسومها
وخرخرةُ الأمواهِ أثناء جريها   على حجَر يرفضُّ منه نظيمها
كترنيمة المانِيِّ عند عُكوفهِ   على ضوءِ نار فى صلاةٍ يقيمها
وكنتُ على مابى من الحُزن واجماً   وكانت هى الأخرى كثيراً وجومها
فلما رأيتُ الصمتَ طالَ على جوًى   تُزكِّيهِ أحدانُ الدموع وتومها
وعهدى بها ما شافهتْنى بغُنَّةٍ   من اللحْن إلا واستبانى رخيمها
نطقتُ اسمها هَمْساً لِترْفعَ رأسها   إلىَّ فلم تفعَل ولستُ ألومها
وأنَّى تُناغينى بسابق بِشْرِها   وأنفاسُها الحرَّى تكادُ تزيمها
فلمْ يَكُ بدٌّ أن أُحدِّث بالذِى   يَسُرُّ وإنْ غالَ السعادةَ شُومها
فقلتُ انظرى يامىُّ حولَكِ للصَبا   تُراودُ أزهاراً فيزكو نسيمها
وللطير تشدو فى الغُصونِ صبابة   إلى إلفِها ـ لا مسَّها ما يَضيمها
وللموْج يصبو للتعانُقِ بعضُهُ   إلى بعضِهِ من غير أيْدٍ يُقيمها
وللغَيْمِ فى حِضْنِ الغمامةِ يرتمى   كما يرتمى فى حِضْنِ خَوْدٍ حميمها
ترَىْ كل شىء فى الحياةِ مسخَّراً   إلى الحبِّ موْقوفاً عليه نعيمها
يُخيَّلُ لي أنَّ الطبيعةَ مثْلَنا   تحِسُّ ولولا ذاكِ ما طابَ خِيمُها
رأتْ ما بنا من لوْعةٍ فتألَّقتْ   كأحسنِ شىءٍ شُهْبُها وسديمها
لِتنجابَ عن نفسى ونفسِكِ ظُلمةٌ   من اليأسِ لا يُفضى لصُبحٍ بهيمها
فصعَّدتِ الأنفاسَ من حرَّة الجوى   وقالت «بودى لو تعفَّت رسومُها
وأىُّ عزاءٍ لى إذا شطَّتِ النوى   بأن خاتلتْنِي فى السماء نجومها
أتعلمُ هذا آخِرُ العهدِ بيننا   وتبغى سُلوِّى أى حال ترومها
أما ضمَّنا وشكُ الفراقِ هُنيْهةً   لنبكى حياةً زال عنا نعيمها
وإن كانَ بالحبِّ استتبَّ نظامُ ما   نراهُ كحبَّاتٍ حَلاها نظيمها
فما بالُنا نشْقَى كذا بودادِنا   ونجرعُ كأساً لا يُطاقُ حميمها
أما نحنُ أوْلَى من طُيورِ خميلةٍ   بألحانِ حبٍّ فى الحياةِ نديمها
أيُقضَى لنا من دُونِها بتَشتُّتٍ   فترْضَى به إلا شتاتاً يَضيمها»
فلمْ أتمالكْ دونَ أن مِلتُ نحوَها   وبينَ ضلوعى ما يكادُ يُقيمُها
وقلتُ «ارفِقى يامىُّ بالنفسِ حِسْبَةً   فديْتُكِ خوفاً أن تطيشَ حلومها
أأشْفَقْتِ أن تُطوى صحائفُ حُبِّنا   وهيهاتَ فى عَيْنىَّ خُطَّ رقيمها
أبَى لىَ قلبٌ طالَ فيكِ وجيبُه   وعينٌ هواها حيثُ أنتِ يَشيمها
بأن أتملَّى جرْعةً من زُجاجةٍ   إذا لم يكُنْ ذِكراكِ دوْمًا نديمها
أأسلوكِ ؟ لا واللهِ حتى يَعودَ لى   شبابى وأحْلَى الذِكرَياتِ قديمها
ولو عادَ لى حقاً إذاً لقضيتُهُ   كعهْدِكِ بى فى لوْعةٍ أستديمها
وهل أشبهَتْ دنيايَ إلا قلادةً   بديعًا دراريها.. وأنتِ يتيمها»
فأدنتْ فماً مثلَ الأقاحِ منوَّرًا   تُوَدِّعُ. والأحشاءُ دامٍ كُلومُها
وقد أرْسَلَتْ من شَعْرِها حولَ وجْهِها   فَفاحَ كعَرْفِ الياسَمينِ شميمها
وضمَّتْ على الصدْرِ اليَدَيْنِ كأنما   هنالِكَ شىءٌ بالعذابِ يسومها
فقبَّلتها ما أسعفَ النفسُ الذِى   احتبَستُ جنوناً قُبلة أستديمها
وأشرقَ نورُ البدْرِ من خلفِ غيْمةٍ   فغادرتُها ... والنفسُ وهى ترومها

« البحرين »   ابراهيم العريض

أسيران

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

أيها الطائر الحبيس ترنم كما تشاء
أنت فى أفقها الندى كما كنت فى السماء
حولك السحر دافق ما ترنمت ، والسناء
أنت فى ظلها الظليل كما كنت فى الخلاء
حولك الورد باسم أبد الدهر فى نماء
كلما صحت شاديًا أقبلت تسمع الغناء